استمارة المشاركة في الملتقى الدولي: الرواية البوليسية في التسريد العربي والعالمي

يوم:11نوفمبر2024

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي– تبسة

الاسم واللقب: ريمة كعبش

الرتبة العلمية: أستاذ محاضر أ

الكلية: الآداب والحضارة الإسلامية

القسم: اللغة العربية

الجامعة: الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة

البريد الإلكترونيrym.doc16@gmail.com

المحور المختار: الأول: التأصيل للرواية البوليسية

عنوان المداخلة: الرواية البوليسية؛ بدايات التشكل وخصوصية البناء الفني

ملخص المداخلة:

الرواية البوليسية شكل من أشكال الأدب الحديثة والمعاصرة، له أصوله التاريخية، وخصائصه الفنية التي ينفرد بها عن غيره من الأشكال.

تأتي هذه المداخلة لتقف على هذا النوع الأدبي الجديد، بحثا عن مفهومه، وظروف نشأته وتشكله عند الغرب وعند العرب، وخصوصية بنائه الفني.

الرواية البوليسية؛ بدايات التشكل وخصوصية البناء الفني

د. ريمة كعبش

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة

البريد المهني: kaabeche.ryma@univ-emir.dz

ملخص المداخلة:

الرواية البوليسية شكل من أشكال الأدب الحديثة والمعاصرة، له أصوله التاريخية، وخصائصه الفنية التي ينفرد بها عن غيره من الأشكال.

تأتي هذه المداخلة لتقف على هذا النوع الأدبي الجديد، بحثا عن مفهومه، وظروف نشأته وتشكله عند الغرب وعند العرب، وخصوصية بنائه الفني.

الكلمات المفتاحية: رواية، بوليسية، أصول، خصائص

Abstract :

The detective novel is a modern and contemporary form of literature, with its historical origins and artistic characteristics that distinguish it from other forms.

This intervention comes to examine this new literary genre, in search of its concept, the circumstances of its emergence and formation in the West and among the Arabs, and the specificity of its artistic construction.

Keywords: Novel, Detective, Origins, Characteristics

مقدمة:

ظهرت الرواية البوليسية في العصر الحديث، بوصفها شكلا تعبيريا جديدا عمل على استثمار العناصر المكونة للبنية السردية، والمتمثلة في الحدث، والحبكة، والتخييل، والتشويق، مضيفة إليها عناصر بنائية أخرى تعتبر أساس الصراع في العمل الفني، وهي: الشرطة، والمجرم، والجريمة ...؛ إذ تتضافر كل هذه العناصر لتحقق في النهاية التأثير والإثارة والمتعة.

1/مفهوم الرواية البوليسية:

إن المطلع على الكتب التي تناولت بالحديث الرواية البوليسية سيجد عدة مصطلحات توازي مصطلح الرواية البوليسية وتحيل عليه، فهناك رواية التجسس، ورواية الاختفاء، ورواية المخبر، ورواية المغامرة، ورواية الجريمة، ورواية الرعب، والرواية السوداء، والرواية القضائية، والرواية المشكلة، والسلسلة السوداء،....كل هذه التسميات تشير إلى نوع واحد من الأدب، وهو الأدب الروائي الذي له علاقة بالشرطة، والمجرمين، والجريمة.

لكن تجدر الإشارة إلى أن هذه المصطلحات مرتبطة بالمسار التاريخي الخاص بها، أي ظهرت في فترة تاريخية معينة، ومن خلال مجموعة من النقاد الذين أطلقوا هذه التسميات المختلفة.

والمتتبع كذلك للتعريفات الواردة حول الرواية البوليسية سيجد أنها قد تعددت واختلفت من ناقد أدبي إلى آخر؛ إذ يعرفها عبد القادر شرشار بقوله: (هي أدب لأنها انحدرت من الرواية ككل،... وهي بوليسية لأنها لا يمكن أن تستكمل بناء هيكلها بدون وظائف تسند إلى الشرطة، ولأنها من جهة أخرى تحمل قصة عجيبة ومشوقة يمكن أن تصبح واضحة ومفهومة وذلك بفضل الوسائل المستعملة من قبل البوليس.)[1]

فعبد القادر شرشار بهذا التعريف يؤكد انتماء الرواية البوليسية إلى الأدب، موضحا سبب تسميتها بالبوليسية، لاعتمادها على عنصر جهاز الشرطة، فلا تكون كاملة إلا بوجوده.

ويعرفها محمود قاسم بقوله: (إنها قصة تدور أحداثها في أجواء قاتمة بالغة التعقيد والسرية، تحدث فيها جرائم قتل أو سرقة أو ما شابه ذلك، وأغلب هذه الجرائم غير كاملة، لأن هناك شخصا يسعى إلى كشفها وحل ألغازها المعقدة، فقد تتوالى الجرائم مما يستدعي الكشف عن الفاعل ويسعى الكاتب في أغلب الأحيان إلى وضع العديد من الشبهات حول شخصيات قريبة من الجريمة، لدرجة يتصور معها القارئ أن كل واحد منها هو الجاني الحقيقي، ولكن شيئا فشيئا ينكشف أن الفاعل بعيد تماما عن كل الشبهات، وأنه لم يكن سوى إحدى الشخصيات الثانوية، وذلك زيادة في إحداث الإثارة.)[2]

فمحمود قاسم يحدد النمط العام لهذا النوع من الأدب، بأنه يعتمد على قصة فيها نوع من الغموض والتعقيد، فبعد حدوث الجريمة، تقوم الشرطة من خلال المحققين بالبحث عن المجرم المتسبب في وقوع هذه الجريمة، ويعمل المؤلف على إشراك القارئ في عملية البحث عن الجاني، فقد يتوصل القارئ إلى معرفة الجاني الحقيقي من خلال المعلومات التي يمدها المؤلف أو المحقق عنه، وبهذا يكون هو المحقق الثاني في العمل الروائي البوليسي، المطلوب منه الكشف عن الجاني وحل لغز الجريمة، وهذا بلا شك يتطلب ذكاء وفطنة.

تعمل الرواية البوليسية على تشغيل ذهن القارئ وجعله يفكر بطريقة منطقية، من خلال قيامه بتحليل الأحداث والبحث عن حل لكل الألغاز، كما تمكنه من معرفة كيفية التخطيط للقبض على المجرم والفهم السريع لكيفية الوصول إليه.

ويعرفها شعيب حليفي بقوله: (إن الرواية البوليسية، تسمح للقارئ بأن يعيش مغامرة حية دون أن يتحرك من مقعده، و أن يتماهى بالأبطال ويدلف كما في الحلم إلى عالم خيالي حيث كل شيء مباح).[3]

فالرواية البوليسية بهذا تقوم على أساس جريمة وقعت يتم التحري عنها من قبل رجال البوليس، يطرح المؤلف من خلال الرواية الكثير من الألغاز، ويجعل الشرطة تتتبع مفاتيحها،

والبحث عن حلول لتلك الألغاز، وتبلغ الأحداث ذروتها عندما يكشف الشرطي السري عن المجرم، ويخبرنا كيف تم حل اللغز.

يحاول المؤلف في الرواية البوليسية أن يشرك القارئ في حل الألغاز بطريقة فنية مبهرة، إذ يعمل على تشويقه وإثارة فضوله، وجعله مشدودا بخيوط السرد وحباله، إلى غاية انفراج العقدة والكشف عن المجرم الحقيقي.

والواقع أن هذا القارئ سيجد نفسه داخل الرواية البوليسية، متداخلا مع الأبطال، يعيش معهم الأحداث، ويبحث عن المجرمين.

2/ بدايات ظهور الرواية البوليسية:

الرواية البوليسية وليدة العصر الحديث(القرن التاسع عشر في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية)، لكن جذورها ضاربة في أعماق التاريخ، إذ تمتد إلى العقد الإغريقي، من خلال الأساطير الشعبية القديمة والأعمال الأدبية الشهيرة؛ مثل: مسرحية أوديب ملكا، حكايات إيسوب، قصص الكتابات المقدسة، والأعمال الأدبية الخاصة بدوستويفسكي، وقصص ألف وليلة وليلة... كل هذه الأعمال تعتمد على مستوى بنيتها السردية العناصر البوليسية المعروفة: الجريمة، التحقيق، القاتل، الضحية... لكنها تختلف في طريقة تقديمها عن الرواية البوليسية بشكلها الحالي.

إن أول ظهور للرواية البوليسية كان عند الغربيين، إذ يجمع مؤرخو الرواية البوليسية على أن قصة قتيلتا شارع مورغ Double assassinat dans la rue Morgue للأديب الأمريكي إدغار ألان بو هي أول عمل بوليسي، والتي نشرت سنة 1841 في مجلة غراهام Graham's magasine ، وتأتي بعدها أعماله البوليسية الأخرى، كقصة مقتل ماري روجيه Le mystère de Marie Roger التي نشرت في مجلةSnowden's Ladies

بين نوفمبر 1842 وفيفري 1843، وقصة الرسالة المسروقةLa lettre volée التي نشرت في مجلة The gift عام1844.[4]

إلا أن مؤرخو الرواية البوليسية لا ينكرون وجود أعمال بوليسية أخرى قد سبقت هذه الأعمال، مثل قصة Mademoiselle de Scudéry للكاتب الألماني إرنست تيودور أمادوس هوفمان، وكذلك روايةUne ténébreuse affaire للروائي الفرنسي بلزاك التي استوحاها من أحد أخبار الحوادث في إحدى الجرائد، ونشرت على أجزاء في جريدة Le commerce من 14 جانفي إلى 20 فيفري1841.[5]

ومن النقاد من يعتبر أن أول رواية بوليسية في التاريخ هي رواية L'affaire Lerouge للكاتب الفرنسي إيميل غابوريو Emile Gaborioau والتي نشرها عام 1863.[6]

كما ظهرت بعد هذه الرواية، رواية أخرى لآرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle عنوانها غرفة المطالعة القرمزية التي نشرها عام 1887، وأبدع من خلالها شخصية المخبر الشهيرة شارلوك هولمز Sherlock Holmes .[7]

أما أول رواية بوليسية ظهرت عند العرب، فهي رواية الشيء الآخر لغسان كنفاني التي نشرت لأول مرة في مجلة الأسبوعية في بيروت، عبر تسع حلقات متتالية ابتداء من يوم الجمعة 25 حزيران1966 تحت عنوان من قتل ليلى الحايك، ولم يتم نشرها كاملة في كتاب مستقل إلا سنة 1980 من قبل مؤسسة الأبحاث العربية.[8]

ومن النقاد من يعتبر رواية اللص والكلاب لنجيب محفوظ أول رواية بوليسية عربية، والتي نشرها عام 1961، وهي تعد من أشهر رواياته، لطرحها أفكار العبث والموت ومعنى الوجود والعدل الضائع.

ويعود الفضل الأول في ظهور أول رواية بوليسية جزائرية إلى يوسف خضير بروايته: تحرير فدائية(Délivrez la Fidaya) عام 1970، وقد ظهر له في ظرف سنتين ستة عناوين، ما بين عام1970 و 1972 هذه الروايات:

- الانتقام يمر بغزةLa vengeance passe par Ghaza
- توقيف مخطط الإرهابHalte au plan terreur
- الجلادون يموتون أيضاLes bourreaux meurent aussi
- منع طائرة فونتوم عن تل أبيبPas de phontom pour Tel Avive
- النمور تتدخلLes Panthères attaquent

كل هذه الأعمال صدرت عن المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.[9]

كما تضيف زهيرة عوفاني إلى هذا الرصيد في الثمانينيات مجموعة أخرى، لكنها تختلف في شكلها ومضمونها عن مجموعة يوسف خضير، فبينما تكتب عوفاني قصصا بوليسيا، يكتب يوسف خضير رواية تجسس، ويتمثل إنتاج عوفاني في عملين إبداعيين، هما:

صورة مفقود1985Le portrait du disparu

قراصنة الصحراء1987Les pirates du désert.[10]

ولا يغفل النقاد أمر الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، في اتباعها هي الأخرى لهذا النمط الجديد من الكتابة، وكأنها بذلك تعبر عن طرقها لباب التجريب، وتمثلها للقصة البوليسية على مستوى بنيتها النصية، وهذا من خلال رواية: بعث عنترة Résurrection d'Antar لجمال ذيب التي نشرها عام 1986، ورواية ساغا الجن La Saga de Jins التي نشرها عام1987، ورواية أرخبيل ستلاقL'Archipel du Stalag.[11]

وكذلك أبدع سليم عيسى روايتين بوليسيتين هما: ميمونةMimouna ، وعادل يعرقل Adel se mêle، وأصدر عبد العزيز عمراني روايتين تتناولان موضوع الصراع العربي الإسرائيلي، هما: هجوم مضادContre attaque ، ومصيدة من أجل تل أبيب Piège pour Tel Aviv التي أعيد طبعها عام 1983[12].

لم يتوقف الإبداع في هذا النوع من الأدب عند تلك الأسماء، بل توالت الجهود في إنتاج أعمال بوليسية كثيرة مع مرور الزمن، نذكر منها: الرماد الذي غسل الماء لعز الدين جلاوجي، اختفاء السيد لا أحد لأحمد طيباوي، بم تحلم الذئاب لياسمينة خضرا، نبضات آخر الليل لنسيمة بولوفة، هذيان نواقيس القيامة لمحمد جعفر، خارج السيطرة لعبد اللطيف ولد عبد الله.

وقد حاولت كل هذه الأعمال فهم الواقع بمختلف تماثلاته وتناقضاته، فعكست المجتمع وصراعاته، كما تطرقت إلى بعض القضايا السياسية بحثا عن حل لها.

3/خصائص البناء الفني في الرواية البوليسية:

يعتمد التشكيل الفني والجمالي للرواية البوليسية على ثلاثة عناصر أساسية وهي: المجرم، الضحية، المحقق.

إن مكونات الرواية البوليسية وخاصة منها الشخصيات تكون معدة سلفا من طرف الكاتب، فعلاوة على أن لها خلفية بوليسية (قاتل، ضحية، تحقيق) البحث عن الحقيقة، فإن عناصرها تجمع على حبكة مشتركة تتميز بالتركيب والتعقيد أحيانا من خلال استحضار مؤلفها لدلالة الرموز والأشياء.[13]

ولأن لكل رواية تشكيل خاص بها، فكذلك الرواية البوليسية، فهي(تستقي مادتها من أرشيف وقائع حقيقية، مع تحويرات وتعديلات تجعلها جديرة بتسميتها رواية، وليست محضرا من محاضر الشرطة). [14]

فاعتمادها على الواقع من شأنه أن يزيد من درجة الإقناع لدى القارئ، لأن المؤلف للرواية البوليسية يراعي أن تكون الأحداث قريبة من الواقع، ومما يحدث في الحياة اليومية، وبالتالي سيقتنع القارئ ويصدق ما تم سرده حتى ولو كان متخيلا.

وعن المادة الأساسية للرواية البوليسية، فهي تقوم (على عنصر الجريمة التي تكون على شكل لغز محير جدا في الوهلة الأولى يصعب حله، لتشد إليها انتباه القارئ واهتمامه، ويكون حل هذا اللغز من طرف الشرطة(رجال البوليس) أو المحقق، بوسائل خاصة تختلف من رواية بوليسية إلى أخرى بطريقة غريبة ولكنها منطقية في الوقت نفسه، مثلها في ذلك مثل الفيلم البوليسي)،[15] فالرواية البوليسية تعتمد على المطاردة، ببحث الشخوص عن المجرم، والتحري عن أسباب وقوع الجريمة، والوصول إلى نتائج مقنعة ومنطقية.

تظهر الرواية البوليسية في مظهر الأدب التحليلي النفسي، فعندما يقدم المؤلف الجريمة والمجرم والمحقق، يتعرف القارئ على مكنونات المجرم والدوافع التي آلت به إلى ارتكاب الجريمة، وبهذا تستعرض الرواية البوليسية المشكلة الاجتماعية، ودوافعها النفسية.

إن للرواية البوليسية عددا من العلامات المميزة، إذ يمكن الحديث عن الرواية البوليسية باعتبارها رواية اجتماعية، بفضاءاتها التي تنطلق من قضايا المجتمع، الجريمة والفساد والعقاب، ترسم صور صراع الخير والشر بطريقة مبنية على النقد الاجتماعي، وتبحث عن الحقيقة وسط شراسة الواقع وغزارة أسباب الكذب والخداع، وعجز الإنسان عن إدراك السلام والطمأنينة.[16]

فالرواية البوليسية تعمل على تصوير النوازع الإجرامية لدى الإنسان، فتركز على الشر وأثره في المجتمع، إذ ينعدم بعده الاستقرار ويتزعزع بعده الأمن والنظام.

تعتمد الرواية البوليسية على موضوعات أشد حبكة من غيرها، والسرد فيها لا يكاد ينقطع مع تطور الأحداث المستمرة والمتلاحقة ووصفها بدقة متناهية، وفضاؤها مخالف تماما للفضاءات المتعارف عليها تلعب فيه الشخصيات أدوارها بما يستدعي الوصف.[17]

بهذا، تتميز الرواية البوليسية بتشابك أحداثها وتعقدها، تماما كما في الحياة العادية، كما أن السرد فيها سريع، وهذا الذي يعطي الرواية نوعا من الدينامية والحيوية.

دأب العديد من كتاب الرواية البوليسية إلى الاتكاء على عناصر مركزية في حبكة الرواية البوليسية كالاختفاء والغرابة والرعب،[18] والجريمة تعتبر واحدة من الخصائص الأساسية للحبكة البوليسية، أي أن أفعال القتل والجرائم، والتحقيق هي مادة الكتابة في الرواية البوليسية.

وحل الحبكة/العقدة في الرواية البوليسية (صعب اللقيا إلى درجة أنه يتحدى العقل حتى تكون على أهبة قبول وجود فوق الطبيعي بدل غياب كل تفسير).[19]

إن أهم عنصر تحتوي عليه الرواية البوليسية هو عنصر الخيال، فالباحثان بيار لويس بوالو Pierre Louis Boileau وتوماس نرسجاك Thomas Narcejac أكدا من خلال مؤلفهما: الرواية البوليسية، أن الخيال هو المكون الأساسي الذي لا يجادل أحد في اعتباره جزءا من العملية الإبداعية. يقولان في ذلك:(إذا كانت الرواية البوليسية قبل كل شيء خيالا، فهي تنتمي وبكل شرعية إلى الآداب).[20]

فالروائي في الرواية البوليسية، يعمل على المزج بين الواقع والخيال، إذ يتخذ الواقع منطلقا في سرد القصة البوليسية، وتقديم الشخوص الروائية، ومن خلال تقنيات اللعب باللغة يحقق الإيهام، ويجعل القارئ يصدق العمل فيبدو له واقعيا أكثر مما هو خيالي.

تبقى الرواية البوليسية جنسا أدبيا له من الخصوصيات التي تميزه عن غيره من الأجناس الأدبية؛ إذ تقوم على لغة التشويق، وتركز على عنصر الصراع وتأويلاته، وعلى اللغة وقدرتها في تحقيق هذا النوع الروائي.[21]

الرواية البوليسية هي رواية تعتمد على بنية سردية تحوي بين جنباتها أحداثا وشخصيات ووأمكنة وأزمنة، ومشكلات، وجرائم، وألغاز،... تشد القارئ، تحبس أنفاسه، وتفزعه إلى النهاية.

خاتمة:

خلاصة القول، أن الرواية البوليسية لها طابعها الخاص، الذي تختلف به عن غيرها من الروايات، إذ تعتمد على قواعد معينة لها خصوصياتها التي من شأنها أن تحافظ على بنيتها وشكلها، فالجريمة، والمحقق، والقاتل، واللغز، وتسارع الأحداث وتأزمها...هي ما يطبع الرواية البوليسية ويميزها عن غيرها.

لقد شغلت الرواية البوليسية فكر الكثير من النقاد والكتاب، منذ زمن بعيد، لما فيها من جودة وبراعة في البناء والتشكيل، إذ تعتمد على الكثير من التقنيات السردية في التأسيس لبنيتها النصية، وأهم مكون تشتغل عليه الرواية البوليسية هو مكون الشخصيات، الذي تسعى جاهدة في جعله محور السرد وأساس الصراع. فالشخصيات في الرواية البوليسية متنوعة تعمل على حل اللغز والكشف عن الحقيقة.

تبقى الرواية البوليسية هي أفضل وسيلة أدبية لفهم الواقع الذي نعيشه اليوم، على اعتبار أنها انتقلت من مجرد التسلية والترفيه وتحقيق المتعة، إلى خدمة المجتمع والتعبير عن مشاكله وهمومه والبحث عن حلول لهذه المشاكل والهموم.

هوامش وإحالات:

[1] عبد القادر شرشار: الرواية البوليسية (بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص17

[2] محمود قاسم: رواية التجسس والصراع العربي الإسرائيلي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص19

[3] شعيب حليفي: شعرية الرواية الفانتاستيكية، دار الحرف للنشر والتوزيع، المغرب، ط2، 2007، ص 34

[4]بشرى الشمالي: الرواية البوليسية مدخل إلى النظرية والتاريخ، مجلة حوليات جامعة قالمة للغات والآداب، العدد19، جوان2017، ص279

[5]المرجع نفسه، ص280

[6]المرجع نفسه، ص ن

[7]المرجع نفسه، ص ن

[8]عبد القادر شرشار: الرواية البوليسية(بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية)، ص120

[9] المرجع نفسه، ص120، 121

[10] المرجع نفسه، ص121

[11] المرجع نفسه، ص166

[12]المرجع نفسه، ص166، 167

[13]بن راحلة فواز: الرواية البوليسية بين إشكالية المصطلح واختلاف التسمية، حوليات جامعة قالمة للغات والآداب، العدد17، ديسمبر 2016، ص459

[14]شعيب حليفي: شعرية الرواية الفانتاستيكية، ص85

[15]حنان بن قيراط: من الهامشية إلى الإبداع والأدبية: (دراسة في الخصائص وخصوصيات التشكيل الدلالي والفني في الرواية البوليسية)، مجلة التواصل الأدبي، العدد 9، ديسمبر، 2017، ص179

[16]شعيب حليفي، التخييل ولغة التشويق(مقاربة في البناء الفني للرواية البوليسية في الأدب العربي)، مجلة فصول، العدد 76، 2009، ص 67

[17]حنان بن قيراط: من الهامشية إلى الإبداع والأدبية: (دراسة في الخصائص وخصوصيات التشكيل الدلالي والفني في الرواية البوليسية)، ص 184، 185

[18] شعيب حليفي: شعرية الرواية الفانتاستيكية، دار الحرف للنشر والتوزيع، المغرب، ط2، 2007، ص60

[19]تزفيتن تودوروف: مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة الصديق بوعلام، مراجعة محمد برادة، دار شوقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1994، ص61

[20]عبد الرحمن بغداد: الرواية البوليسية الجزائرية بين المغامرة والتجريب، مجلة إحالات، المجلد5، العدد1، جوان 2023، ص 26

[21]المرجع نفسه، ص27